استراتيجيات الحجاج المغالط وأساليبه في التراث العربي

Strategies of The fallacious argumentation and their methods in the arab heritage

طالب دكتوراه: بوغزالة محمد عبد الحميد
إشراف : د.يوسف العايب
قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الشهيد حمَّة لخضر-الوادي(الجزائر)
مخبر الانتماء : مخبر علم النفس العصبي و المعرفي و الاجتماعي
boughezalamohammedabdelhamid@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2019/09/10 **تاريخ القبول: 2019/09/19**

ملخص:
يتناول هذا البحث نوعا من أنواع الحجاج وهو الحجاج المغالط أو المغالطة، و فيه سنتطرق إلى الحجاج وأساليبه اللغوية، وغير اللغوية ونبين أهم استراتيجياته التمهيدية و الاستباقية التي يلجأ إليها المحاجج قبل بداية الخطاب الحجاجي و كذا الخطابية التي تكون في صلب الخطاب، من خلال جملة من الشواهد في التراث الأدبي العربي.

الكلمات المفتاحية:
الحجاج، الحجاج المغالط، المغالطة، استراتيجيات، أساليب، التراث العربي، الخطاب.

Abstract :

Strategies of The fallacious argumentation and their methods in the arab heritage

In this research, we examine some types of argumentation who are the fallacious argumentation or Fallacy, where we know of these argumentation and their linguistic and non-linguistic methods. We show the most important pre-emptive strategies that the arguments use before the beginning of the speech, and others within the discours, through a set of evidence in the Arab literary heritage.

Keywords: Argumentation, Fallacious, argumentation, Fallacy, Strategies, Methods**,** Arab heritage, discours.

توطئة:

إنّ الأنماط الحجاجية الصحيحة في الخطاب الحجاجي هي الكفيلة بإحداث الأثر القوي والفعال في الجانب العقلي والعاطفي على السواء، غير أن هناك أنماطا أخرى باطلة ومضللة تستخدم في الخطاب الحجاجي –على سبيل المغالطة- عادة ما تكون ذات مظهر خادع بحيث تبدو صحيحة، وتقوم على إثارة المشاعر والانفعالات أيضا، و تهدف إلى إرضاء الجمهور واستمالته.

فما هو مفهوم المغالطة ؟ وما هي أهم أساليبها واستراتيجياتها المطبقة في الخطاب الحجاجي عند العرب القدامى؟

أولا- مفهوم الحجاج:

أ- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجَاجا ومحَاجَّة حتى حججته أي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها...والحُجَّةُ :البُرْهَان، وحَاجَّه محَاجَّة وحِجَاجًا نازعه الحُجَّة، ...والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج، أي جدل وفي الحديث" فحج آدم موسى :أي غلبه بالحجة"[1]

وورد في مختار الصحاح أن: "حَاجَّه فحَجَّه من باب ردَّ أي غلبه بالحُجَّة ، وفي المثل: لجَّ فحجَّ، فهو رجل مِحجَاج أي جدِل، و التحاجُّ التخاصم، والمحَجَة ،جادة الطريق".[2]

وعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج مرادفا للجدل.

وأما الزمخشري فقد حصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظفر وإفحام الخصم بما يملكه من الدلائل فقد جاء في أساس البلاغة: « احتج على خصمه بحُجَّة شهباء ، وبحجج شهب وحاجَّ خصمه فحجَّه وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجة وملاجة ».[3]

ومما سبق، يتضح أن مادة (ح ج ج) تتفرع منها معان ثلاثة ؛ فالأول :المُحاج وهو صاحب الغلبة بالدلائل والبراهين ، والثاني المحجوج وهو المغلوب المفحم ، والمعنى الثالث :هو الحُجَجُ وهي التي يتبادلها المتخاصمان بالرأي .

ب:اصطلاحا: جاء في موسوعة لالاند أن الحجاج هو: " طريقة عرض الحجج وترتيبها"،[4] وذهب نفس المذهب جميل صليبا في معجمه الفلسفي حين أقر بأن: "الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها".[5]

أما **جاك موشلر وآن ريبول** فقد عرفاه على أنه : "سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة لعرض الأدلة وتقديمها.". [6]

وبالتالي تكاد التعريفات السابقة تتطابق في حصر مفهوم الحجاج، في كيفية تقديم الأدلة و توظيفها بهدف إقناع المخاطبين بالتأثير الفعال على عقولهم واستمالة نفوسهم.

ولما كان موضوع الحجاج هو الأدلة - بحسب التعريف اللغوي والاصطلاحي- فإن غايته البحث في كيفية نظمها وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الحق أو إثبات الرأي.

ثانيا- مفهوم المغالطة:

أ-المغالطة لغة: ورد في "لسان العرب" لابن منظور: "المِغلطة والأغلوطة: الكلام الذّي يغلط فيه ويغالط به، ما يغالط به من المسائل، وقد غالطه مغالطة". [7]

ومن خلال التعريف السابق، يتضح أن هناك فرقا جوهريا بين الغلط والتَّغليط، بمعنى أن: "الغلط يتفرع إلى غلط غير مقصود ويسمى غلطاً، ومقصود ينبني على التَّدليس والإخفاء والتَّعتيم والتَّمويه بغاية تضليل المتلقي، وهو التّغليط . فالغلط يعد خطأ غير مقصود، وهو غير المغالطة والأغلوطة التي هي الحجة التي تبدو صحيحة لكنَّها خطأ قصد بها صاحبها التَّمويه والتَّضليل" [8]

ب- المغالطة اصطلاحا: عرفها حافظ إسماعيلي العلوي: " بأنها استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنه صحيحا، لأنه مقنع سيكولوجيا، لا منطقيا، على الرغم مما به من غلط مقصود."[9]

فالمغالطة ضرب من الحجاج، يختلف عن الحجاج المستقيم بكونه يوظف الحجة توظيفا خاطئا مقصودا فإن كانت الحجة مقصودة تهدف إلى التضليل فهي حجة مغالطِة ،[10] بمعنى إذا تعمد صاحبها الغلط قصدا هادفا إلى تضليل «المتلقي فإن عمله هذا يسمى مغالطة.[11]

والحجاج المغالط يعتمد في بلوغ هدفه على الإضمار، فهو من أهم مقوماته ويستخدم لذلك جملة من أساليب التضليل والتشويه والتعتيم كالسلطة، والكذب، والسؤال الملغوم، والصمت، والهجوم الشخصي ... وغيرها من الأساليب، والوسائل لإخفاء المقاصد الحقيقية، حتى لا يتمكن المتلقي من كشف المغالطة.

ثالثا - استراتيجيات الحجاج المغالط:

يعتمد الحجاج المغالط على عدة أساليب متباينة –كما أشرنا سلفا-تختلف باختلاف السياق ونوع الخطاب وقصدية المخاطب، ويمكن إدراج هذه الأساليب ضمن استراتيجيتين، تمهيدية وتكون قبل بداية الخطاب(الحوار، المناظرة.....)، وأخرى خطابية وتكون أثناء الخطاب.

أ- الاستراتيجية التمهيدية:

وتكون قبل بداية المناظرة أو المحاورة ، غالبا ما يلجأ إليها الطرف الأضعف، حجة تستند على أساليب عدة، يمكن أن نذكر منها:

1- المغالطة بالتجريح: وهو نوع من الحجاج المغالط يستند إلى آليات غير لغوية، يلجأ الخصم فيه إلى إبراز عيب أو عيوب خصمه الخَلقية أو الخُلقية أو الفكرية، حيث يتعمد المغالِط الطعن في الشخص صاحب القضية بدلا من الانشغال بتفنيد القضية نفسها[12] ونمثل لذلك بما جرى في مناظرة الحيدة والاعتذار بين **بشر بن غياث المريسي المعتزلي** و **عبد العزيز بن يحي الكناني السني**، والتي جرت وقائعها في قصر المأمون على مرأى من أنصار الطرفين ، حيث لجأ أحد أنصار المعتزلة إلى حجة التجريح ليؤثر بها عن مشاعر المأمون ليقضي ببطلان مقالة الخصم قبل أن تبدأ المناظرة، حيث سمع عبد العزيز الكناني أحد الحضور يقول للمأمون: **"يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا *قبح وجهه*، والله ما رأيت خلقا لله *أقبح وجها منه*".[13]** .

لجأ المعتزلي إلى التجريح الشخصي وهي آلية غير لغوية، وهذا ما جعل الكناني يرد عليه بحجة دامغة، كون قبح وجهه لا يعيب المخلوق، بقوله: **"فهذا يعيب ربي لم خلقني قبيحا"** [14] –حاشا لله أن يكون كذلك- وهذا ما جعل المأمون يقر بأن : **"العيب لا على الشيء المصنوع، وإنما العيب على صانعه".**[15]

2- حسن التخلص عن طريق السبق بالمناورة: وهي آلية استباقية يلجأ إليها المحاجج (المتهم/الضحية) للتخلص من موقف معين تجاه خصمه، حيث يبادره إما بطرح سؤال أو بتقديم جواب لسؤال متوقع، لتوجيه مسار الحوار لصالحه. ويتضح لنا هذا في قصة **عبادة المخنث عندما أدخل على الواثق والناس يضربون ويقتلون ويعذبون في امتحان خلق القرآن، فقال في نفسه: والله لئن امتحنني قتلني، فبدأته فقلت: أعظم الله أجرك أيها الخليفة. قال: فيمن؟ قلت في القرآن. قال: ويحك، والقرآن يموت؟ قلت: نعم، كل مخلوق يموت، فإذا مات القرآن في شعبان، فبأي شيء يصلي الناس في رمضان؟ فقال: أخرجوه عني، فإنه مجنون.**[16]

فنجد أن عبادة المخنث قد بادر بتوجيه الحوار منذ الوهلة الأولى، حيث تمكن من صرف ذهن الواثق عن امتحانه في مسألة خلق القرآن، وعن طرحه للسؤال المتوقع: هل القرآن

مخلوق؟ وهكذا بفضل سبق عبادة المخنث بالمناورة، وظهوره بمظهر المتحامق نجح في التخلص من هذه المحنة والابتلاء.

ب- <u>الاستراتيجية الخطابية</u>:

وتكون في صلب الخطاب ولها أيضا مجموعة من الأساليب:

1- المغالطة بالاشتباه (الغموض): وهو من أكثر الأساليب التي يعتمدها المغالط سواء أكان سائلا أم مجيبا، حيث يلجأ في مثل هذه المقامات إلى حيل تنتهي بالمخاطب إلى أن يفهم من القول ما يخالف القصد أو يتردد في اسناد المعنى المقصود وذلك باستخدام ألفاظ مشتركة وغامضة ، حيث يعجز عن تفصيل المعاني التي يتوفر عليها اللفظ الواحد.[17] ونمثل لهذا النوع من المغالطة بقصة المأمون لما ولى عاملا له بلادا ما وكان يعرف منه الجور في حكمه، فأرسل إليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه، فلما قدم عليه أظهر له أنه قدم في تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه، فأكرم نزله وأحسن إليه، وسأله أن يكتب كتابا إلى أمير المؤمنين المأمون، يشكر سيرته عنده، ليزداد فيه أمير المؤمنين فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير المؤمنين:" **أما بعد، فقد قدمنا على فلان، فوجدناه آخذا بالعزم، عاملا بالحزم، قد عدل بين رعيته، وساوى في أقضيته، أغنى القاصد، وأرضى الوارد، وأنزلهم منه منازل الأولاد، وأذهب ما بينهم من الضغائن والأحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة، وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة، وهم مع ذلك داعون لأمير المؤمنين يريدون النظر إلى وجهه، والسلام**."[18] .

عمد كاتب الرسالة إلى استخدام المغالطة بالاشتباه، وذلك حينما اختار مجموعة من الألفاظ والمعاني ذات الدلالات المتشابهة (المشترك اللفظي)، ليضلل بها الوالي من جهة، ويوصل مقصوده إلى الأمير من جهة أخرى. فظاهر الرسالة تحمل مدحا للوالي، بينما هي تضمر عكس ذلك تماما، فكان معنى قوله: آخذا بالعزم، أي إذا عزم على ظلم أو جور، فعله في الحال، وقوله: قد عدل في رعيته وساوى في أقضيته، أي أخذ كل ما معهم حتى ساوى بين الغني والفقير، وقوله: عمر منهم المساجد الداثرة، وأفرغهم من عمل الدنيا، وشغلهم بعمل الآخرة يعني أن الكل صاروا فقراء لا يملكون شيئا من الدنيا، ومعنى قوله: يريدون النظر إلى وجه أمير

المؤمنين، أي ليشكوا حالهم وما نزل بهم. لكن بفضل دهاء المأمون : فطن إلى المغالطات التي حوتها الرسالة، فعزل الوالي عنهم لحينه.[19]

إذا كان الاشتباه هنا قد وقع على مستوى المعاني، فقد يقع كذلك على مستوى التركيب -مسألة عود الضمير مثلا- في نحو ما جاء في المغالطة التالية: عن ابن الجوزي: **أنه سئل وهو على المنبر وتحته جماعة من مماليك الخليفة وخاصته، وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعة، فقيل له: من أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما؟ فقال: أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته"**،[20] فأرضى الفريقين ولم يرد إلا أبا بكر رضي الله عنه، لأن الضمير في ابنته يعود إلى أبي بكر رضي الله عنه، وهي عائشة رضي الله عنها، وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشيعة ظنوا أن الضمير يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها، وكانت تحت علي رضي الله عنه، وبهذه المغالطة بات الفريقان منها على رضى، وتخلص من الحرج في هذا الموقف من دون عناء.

2- **المغالطة بالحماس ورفع الصوت** : ومثال ذلك ما وقع في المناظرة الدينية الواقعية التي حدثت بين العلامة أحمد ديدات، والدكتور أنيس شروش، بقاعة" ألبرت "الملكية بلندن، بتاريخ 15 ديسمبر 1985 وموضوعها "هل عيسى إله؟" [21] حين افتتح شروش مداخلته الأولى **بأسلوب خطابي وحماسي**، مخاطبا الجمهور في القاعة وطالبا منهم الوقوف، في حين تقدم العلامة أحمد ديدات بهدوء "**وهو يحاول أن يوقف عاصفة التصفيق ، ويقول بصوت خفيض، وقد رفع كف يده في مواجهة الجمهور، بما يعني أن هذا يكفي** .[22] "...وفي هذا الموقف يتجسد معنى المثل القائل: **"من ضعفت حجته علا صوته."**

3- **المغالطة بالمراوغة والخداع:** وهي حجة يسعى من خلالها المحاجج بإثارة إشكالية ما تبعده عن الإشكالية الجوهرية المتنازع عليها، ومثاله ما وقع في غزوة الأحزاب، حينما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي نعيم بن مسعود ليوقع بين الأحزاب المتحالفة ضد الرسول وأصحابه، خاصة أن هذا الصحابي قد أسلم قبيل هذه الغزوة ولم تعلم تلكم الأحزاب خبر إسلامه، فخرج حتى أتى بني قريظة، وكان نديما لهم في الجاهلية، **فقال يا بني قريظة: قد علمتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا صدقت، لست عندنا بمتهم فقال لهم: إن**

قريشا وغطفان ليس كأنتم، فإن البلد بلدكم، وبه أموالكم، وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم، وليسوا مثلكم إن رأوا فرصة اغتنموها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديهم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم، قالوا أشرت بالرأي.[23]

لقد استخدم نعيم أسلوب المراوغة والخداع في قوله: **قد علمتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم** حيث أظهر لهم وده، وإن كان يضمر الخديعة لأن الحرب خدعة –كما قال صلى الله عليه وسلم -، خاصة أن نعيما استأذن الرسول للقيام بهذا العمل الذي وقف فيه من بني قريظة موقف الناصح الأمين لتحقيق ما يصبو إليه من بث روح الفرقة بين الأحزاب وكسر شوكتهم وخذلانهم أمام جيش المسلمين.

وهذا كله مما يأتي به الإنسان من غرائب الكنايات الواردة في سبيل الرمز، ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان حاله مع لزوم الصدق، ورضا الخصم بما وافق مراده، لأن في المعاريض مندوحة عن الكذب.

4- المغالطة باستخدام القوة: من بين الأساليب المغالطة في الحجاج، حجاج القوة الذي يطمح صاحبه من خلاله إلى إجبار المخاطب على سلوك معين، أو القيام بعمل ما، مستخدما أسلوب التهديد والوعيد، حتى يستمد منه الحجة بإذعانه وحمله على الاقتناع الذي يأخذ في حقيقة الأمر شكل الاستسلام والانصياع.[24]

فالمحاجة بالقوة لا تهتم بقناعات المخاطب، ولا تلتفت إلى ما يؤمن به، ولا يعنيها أن يقتنع بما يطلب منه فعلا، فالمهم عند المتكلم أن تتحقق غايته.

فهذا النوع من الحجاج يسعى صاحبه في غالب الأحيان إلى الاستعانة بالقوة والعنف والإكراه واستغلال سلطته لإجبار الرعية على الامتثال لأوامره قهرا وكرها، وقد تجسد ذلك جليا في خطب ورسائل الأمراء والولاة الموجهة لرعاياهم خاصة المعارضين منهم لإجبارهم على الطاعة وأخذ البيعة، كما في رسالة معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن عباس يأمره فيها

بقبول بيعة ابنه يزيد وتوليه الخلافة من بعده، والتي جاء فيها: **"أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين، وإني لو قتلك بعثمان لكان ذلك إلي، لأنك ممن ألب وأجلب، وما معك من أمان لتطمئن به، ولا عهد فتسكن إليه، فإذا آتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي، *فقد أعذر من أنذر*، وأنت بنفسك أبصر"**[25]

وجاء في كتابه لعبد الله بن جعفر: **"أما بعد فقد عرفت آثرتي إياك عمن سواك، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك، وقد آتاني عنك ما أكره، *فإن بايعت تشكر، وإن تأبى تجبر*"**[26]

تبين هذه الرسائل مدى لجوء الحكام إلى استخدام القوة والقهر، واستغلال النفوذ في تحقيق مآربهم.

5- **المغالطة بالخبير**: من المغالطات المنتشرة ما اصطلح عليه الحجاج بالسلطة (الخبير)، حيث تتحدد هذه الخبرة في أنها شخصية تتمتع بالكفاءة في مجال تخصصها تفوق خبرة الشخص العادي، وتتميز بسمتين جوهريتين هما: صلة الحجة بقائلها، وارتباطها بمجال معرفي مخصوص. فما يقبل من سلطة علمية لا يقبل معها في مجال آخر.[27]

ومن ثمة فإن الحجاج بالسلطة معقول ومشروع ما لم يقصد به المغالطة، أما إذا قصد به المغالطة فالاستدلال لا يكون استنباطيا أو استقرائيا، وإنما هو استدلال يستمد أهميته من الشخص الذي صاغه، وهو موطن المغالطة.[28] زيادة على ذلك فالمحاجج يلعب على الطبيعة المتساهلة والمتسامحة للمستمع الذي لا يحقق في المسألة، بل يميل إلى التسليم بمجرد معرفته أن فلانا من أهل الخبرة.[29]

وهذا النوع من المغالطة استغل كثيرا في الخطب السياسية، في نحو ما جاء في خطبة معاوية بن أبي سفيان لأهل الشام ليكسب تأييدهم له ضد معارضه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وأنصاره، لما استغل قدوم عقيل بن أبي طالب عليه ليطلب منه تسديد دينه بعد أن رفض أخوه ذلك، فقام معاوية يخطب فيهم:

"يا أهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها، عرف الذي فيه أخوه من الغواية والضلال، فأناب إلى أهل الدعاء إلى الحق، ولكني أزعم أن جميع ما تحت يدي له، فما

أعطيت مقربة إلى الله، وما أمسكت فلا جناح علي.... يا أهل الشام أعظم الناس من قريش حقا ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش وها هو ذا تبرأ إلى الله مما عمل به أخوه".[30]

لكي يستهوي معاوية أهل الشام، بين لهم أن خصمه (علي) على خطأ وحجته في ذلك خروج عقيل عليه وهو أقرب الناس إليه.

6- المغالطة بتوظيف الشواهد غير المناسبة : لكي تكون الحجة أكثر إقناعا وجب تضمينها بالشواهد المناسبة والأدلة المقنعة و"إن تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم هي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها و تواترها[31]

إلا أن الشاهد قد يكون وسيلة من وسائل المغالطة وذلك إذا تم توظيفه في غير محله. وهذا يتجسد في قصة عمر بن الخطاب حين كان يطوف بالّليل ليستفقد أحوال الناس ويسهر على خدمتهم بنفسه . وذات يوم حين كان يعس بنفسه رأى في إحدى البيوت ضوءا وسمع حديثا، فوقف على الباب يتجسس؛ فرأى عبدا أسود أمامه إناء من شراب ومعه جماعة، فهمّ بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت، فقفز من على السطح ونزل إليهم، معه سوط فجرى بينهم هذا الحوار:

الرجل الأسود: يا أمير المؤمنين، قد أخطأت وإني تائب، فاقبل توبتي. فقال عمر :أريد أن أضربك على خطيئتك. فقال الرجل :إن كنت قد أخطأت في واحدة، فأنت أخطأت في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ الحجرات: 12 **وأنت تجسست، ويقول: ﴿ وآتوا البيوت من أبوابها ﴾** البقرة: 189 **وأنت أتيت من السطح، ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾** النور: 27 **وأنت دخلت وما سلمت ! فهب هذه لتلك؛ وأنا تائب إلى الله تعالى، على ألاّ أعود فاستتابه واستحسن كلامه"** [32]

فعوض اعتراف الرجل بالاعتداء على حدود الله، وخوضه في المحرمات بشربه للخمر التي حرمها الله سبحانه وتعالى، قام بتغيير الأدوار، فجعل عمر متعديا على حدود الله، من

خلال عقد مقارنة بين ما قام به عمر من أفعال مخالفة –في نظره- لما جاء به الشرع ، وبين ما قام به هو من مخالفات. وتأتى له ذلك بإيراده لعدة شواهد من القرآن الكريم لمعرفته بطبيعة عمر وضعفه أمام كتاب الله.

7- **المغالطة بالجواب عن السؤال بسؤال** : ويمكن عد ذلك من المغالطة بالسؤال الملغوم الذي يستخدمها المغالط قصد توريط مخاطبه من خلال أسئلته التي يطرحها بشكل ذكي[33]

وقد وجدنا هذا النوع من المغالطة في كلام شروش في مناظرته أحمد ديدات، حين رد على السؤال الذي طرحه ديدات بقوله: "**هل يخرج يسوع فضلات الطعام الذي يزعم أنه كان يأكله قبل مولده وبعد وفاته** "[34] وبدلا من ذلك تحول عن النظر إلى الجمهور أمامه ليلتفت إلى العلامة ديدات ويقول له بحدة وعنف في كل حرف:" **من أنت؟ من أنت حتى تحدد لله ما يجب أن يفعل وما يجب ألا يفعل** ".[35] ففي ذلك مغالطة بالإجابة عن السؤال بسؤال آخر، بغرض صرف ذهن المستمعين عن مطالبته بالجواب.

8- **المغالطة بالحيدة**: وفيها ينصرف الخصم عن الإجابة على السؤال الذي طرحه خصمه، ليجيب عن سؤال آخر، بغية التهرب من الوقوع في الحرج حين عجزه عن الإجابة على سؤال الخصم. ومن الشواهد الدالة على ذلك، قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه **حين رأى معاوية يكاد يتفقأ شحما، فقال له: ما هذه؟ لعلها من نومة الضحى وردّ الخصوم فقال معاوية: يا أمير المؤمنين علمني وفهمني؟، فرد معاوية على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لا يحمل جوابا على سؤال عمر، بل ساق كلاما حاد به عن الإجابة.**

ومن الشواهد المأثورة عن العرب أيضا هذين البيتين لامرئ القيس و فيهما حاد الشاعر أيضا في رده عن سؤال محدثته :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيري يا امرأ القيس؟ فانزل؟**

فقلت لها سيري وأرخي زمامه * ولا تبعديني عن خباك المحلل**[36]

9- **المغالطة بالكذب:** إ ن الأوضاع المادية غالبا ما تلعب دورا في اللُّجوء للكذب كما يظهر ذلك من خلال هذا الحوار الذي دار بين امرأة وجماعة من التجار في مسجد" عمرو بن العاص"، حيث لجأت للكذب على الجماعة واستعطاف أحد هؤلاء التجار بإثارة الطمع في نفسه بأن يحصل

على بعض من المال مقابل أن يشهد أمام القاضي أنه زوجها المزيف، لتحصل على الطلاق وتتمكن من الزواج مرة أخرى .وفي الحقيقة أن هذه المرأة كان لها هدف آخر غير قصة الطلاق التي ادعتها فكان غرضها أن تُجبر التاجر على دفع النفقة أمام القاضي بحكم أنه زوجها.

" فقال لها التاجر : ما شأنك. فقالت :أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ عشر سنين، ولم أسمع له خبرا، فقصدت القاضي ليزوجني، فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة، وأريد رجلا غريبا يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لأتزوج أو يقول أنا زوجها، ويطلقني عند القاضي لأصبر مدة العدة، وأتزوج. فقال :تعطيني دينارا حتى أصير معك إلى القاضي وأذكر له أني زوجك، وأطلقك. فبكت وقالت: والله ما أملك غير هذه .وأخرجت أربع رباعيات. فمشى معها إلى القاضي، فادعت عليه الزوجية والغيبية عشر سنين. فقال لها القاضي : أتبرئينه. قالت :لا والله، لي عليه صداق ونفقة عشر سنين وأنا أحق بذلك .فقال القاضي للرجل :أديها حقها ولك الخيار في طلاقها أو إمساكها ". [37]

فلم يتمكن الرجل من إنكار ذلك وقول الحقيقة خوفا من أن لا يصدقه القاضي، فسلمه القاضي إلى صاحب الشرطة، وتمكنت المرأة من أن تأخذ منه عشرة دنانير.

10- المغالطة بحجة الجماعة (الجماهيري): وهو حجاج يوجه إلى الجماهير بغية اقناعهم بفكرة معينة وإثارة حماسهم إليها لحملهم على الاقتناع بها. وبقدر ما يتحمس الجمهور إلى النتيجة يتحقق الهدف الأساسي من الخطاب.

فحين طلب معاوية من أهل الشام البيعة له، استدرجهم إلى هذه النتيجة بعرض مقدمات لغوية (وهي تذكيرهم بصنيع المعارضة بعثمان والمطالبة بدمه)، وأخرى غير لغوية (تمثلت في نشر قميص عثمان على المنبر ملطخا بدمه). وهي حجج اعتمدها معاوية لإثارة عواطفهم لكي تنقاد إليه قلوب أهل الشام وضمائرهم، وإذا بهم يظهرون الغضب لعثمان ويطالبون بدمه أكثر مما يظهر، كما استعجلوه بذلك، حيث قالوا له: **"هو ابن عمك وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميرا عليهم".** [38]

11- المغالطة بالغصب: وتكون المغالطة بالغصب حينما يقوم أحد المتناظرين بالاستدلال على بطلان دعوى خصمه، قبل السماح له الإتيان بدليل أو حجة لتصديق دعواه. وسميت كذلك لأن أحد المتناظرين يغصب حق خصمه.

ونسوق شاهدا على ذلك من مناظرة الحيدة والاعتذار، والتي وقع فيها بشر في الغصب في بداية مناظرته لعبد العزيز الكناني، عندما طرح عليه السؤال التالي: "**تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قلت شيئا فقد أقررت أنه مخلوق، إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت أنه ليس بشيء فقد كفرت، لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء**".[39] حتى يوقعه في الحرج. وقبل أن يتيح للكناني فرصة الرد على سؤاله أعطى احتمالين للإجابة. وهذا ما جعل الكناني يعقب قائلا: **"ما رأينا أعجب من هذا تسألني وتجيب عن نفسك".**[40]

عموما لا يمكن حصر جميع أساليب المغالطة ويرجع ذلك إلى تشعبها وكثرة سبلها، والتي تختلف باختلاف طبيعة الخطاب ومقاصده وتنوع سياقاته.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن أن نقف على النتائج التالية:

- المغالطة هي نوع من الحجاج ، لكنها تحمل استدلالا فاسدا.
- ينبني الحجاج المغالط على جملة من الأساليب لغوية وغير لغوية(رفع الصوت، التصفيق الاشارات...) التي تساعده في اضمار المقاصد الحقيقية، وإظهار المقاصد المزيفة.
- يهدف الحجاج المغالط إلي التضليل والتمويه والتعتيم والالتباس...
- كثيرا ما يغفل الخطاب المغالط السياق، الذي يعد عمدة في تأويل مقاصد الخطاب.
- لا تسند المغالطة عن الصريح من القول لتوليد الاقتناع فحسب، بل تعوّل في كثير من الأحيان عن القول المضمر.

- تقع المغالطة على المستوى المعجمي كما تقع على المستوى التركيبي، مما يجعل المخاطب عاجزا عن فهم المعنى المقصود(مراد المخاطب).
- تبدو المغالطة في ظاهرها حجة سليمة، لاعتمادها على نفس مكونات الحجة السليمة، حيث تستخدم (الشاهد، والمثال..).
- المغالطة لا تهدف إلى كسب أرضية مشتركة بين المتحاورين بل تطمح إلى تحقيق مكاسب شخصية أو التفوق عن الخصم بغض النظر عن صحة أو غلط ما يقدمه من حجج.
- سوء النية والاضمار هما ركيزتان يتكئ عليهما الحجاج المغالط.
- عاطفة المخاطب تشكل أهم المنطلقات التي يمكن أن تستغلها استراتيجية المغالطة، كالترهيب والإغواء وإثارة العواطف.

الإحالات:

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ،مادة (حجج)،دار المعارف ، القاهرة ، ص: 779 .

[2] -الرازي ، مختار الصحاح ، تح: عصام فارس الحرستاني ، دار عمار، عَمان ، ط9 ،2005 ، ص: 69 (حجج) .

[3] -الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح :محمد باسل عيون السود ، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ،1998 ص:169(حجج).

[4] - موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت/باريس، المجلد 1، ط2، 2001، ص93.

[5] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج1، ص 446.

[6] -ينظر : محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي(دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي)، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط 1 ، 2012 ،ص103

[7] - ابن منظور، لسان العرب، م8، ص363.

[8] - حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004، ص 165.

[9] -حافظ إسماعيل علوي ومحمد اسيداه : اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، تق : حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج 3 ، 2010 ، ص272 .

[10] -ينظر :عبد الرحمن الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، ص297 .

[11] ينظر: أحمد دعدوش، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، دار ناشري للنشر الالكتروني، 2014 ، ص7 .

[12] - أحمد دعدوش، المغالطات المنطقيّة في وسائل الاعلام ، ص23.

[13] - مناظرة الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصار، إدارة البحوث العلمية، السعودية، ص 12.

[14] - نفسه، ص16.

[15] - نفسه، الصفحة نفسها.

[16] - محمد خير رمضان يوسف، جولة في كتب غريبة، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1995، ص 43.

[17] - ينظر: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص ص 182-193

[18] - الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص52.

[19] - ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

[20] - نفسه، ص53.

[21] - مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس د أنيس شروش، تر علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة، ص5.

[22] -نفسه ، ص60.

[23] - الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص 364.

[24] - ينظر: الأساليب المغالطية، مدخلا في نقد الحجاج، ص 426.

[25] - ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي، في كتاب "الإمامة والسياسة"، دراسة تداولية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة باتنة، 2009-2010، ص 365.

[26] - نفسه، الصفحة نفسها.

[27] - ينظر: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص230.

[28] - ينظر: محمد النويري، الأساليب المغالطية، ص 424.

[29] - النقاري حمو : من منطق مدرسة بور رويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيهما، ضمن كتاب الحجاج طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص186.

[30] - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص 71.

[31] - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، افريقيا الشرق، المغرب دط، 2002 ، ص. 90

[32] - محمد أحمد جاد المولى وآخرون، قصص العرب، ج3 ، دار الجيل بيروت، ص 18.

[33] - ينظر :أحمد دعدوش ، المغالطات المنطقية في وسائل الإعلام، ص17.

[34] - مناظرة العصر بين العلامة أحمد ديدات والقس د. أنيس شروش، ص17.

[35] - نفسه، الصفحة نفسها.

[36] - ديوان امرؤ القيس، ضبط وتصحيح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2004، ص 113.

[37] - إبراهيم شمس الدين، قصص العرب،ج2 ، ط1 ، دار الكتب العلمية، ، 2002 ، ص 521.

[38] - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ص 69-70.

[39] - الحيدة، ص18.

[40] - نفسه، ص19.